الفصل الثالث
توطيد أركان دولة الخزر
والحرب العربية - الخزرية الأولى
(642 - 652 م)

عاش الخزر كما هو واضح حياة البداوة في أول الأمر ضمن حدود ضيقة نسبياً، ولقد سلف وقابلناهم في القوقاز، وقد وردت إشارة في كتاب الجغرافيا الأرمنية تؤكد وجودهم في تاريخ لم يحدد تماماً، فقد ذكر أنهم كانوا يقطنون في مراكز شتوية على نهر الفولغا، وبذلك سببوا شيئاً من الذعر لدى البارسليين الذين كانوا قد تحصنوا في جزيرة في وسط النهر[1]، وقد مضى زمن حتى توطدت العلاقات فيه بين: الخزر، والبلغار[2].

ومن المعتقد أن شعب الخزر قد استوطن في رقعة من الأرض فيما بين نهر الفولغا والقوقاز، واحتل الأراضي الساحلية في تلك المنطقة، بينما كان البلغار يتمركزون في المناطق النائية غرباً، حيث كان مركزهم في وادي نهر كوبان، لكن العلاقات بين هذين الشعبين لم تكن دوماً على ما يرام، ويجب علينا أن نتطرق الآن إلى ذكر توسع الخزر على حساب البلغار، هذا التوسع الذي حدث خلال القرن السابع، ومهد للخزر إحراز السيطرة المباشرة على رقعة واسعة تمتد غرباً إلى ما بين نهري الدون وكوبان على الأقل.

---

(1) تحقيق سوكري: 26/ 16 (اقتباس مرقوارت: 57، 154).

(2) انظر حكاية ميخائيل السوري في الفصل الأول.

وطبقاً لما رواه تيوفانس نرى وجوداً للبلغار (أرنوغوندور) في منطقة نهر كوبان، وقد تنظموا تنظيماً قوياً على يد حاكمهم وزعيمهم كوبارت، وقد ترك كوبارت، عند وفاته في حوالي عام 650، أملاكه لأولاده الخمسة، وكان قد أمرهم أن يحافظوا على وحدتهم، وألا ينفصل بعضهم عن بعض، وألا يبحثوا عن ممالك منفصلة، لكنهم لم يعيروا أذناً صاغية لهذه النصيحة الثمينة، إذ بينما بقي الأخ الأكبر باتاياس في المملكة التي ورثها، تفرق الآخرون، فقد عبر الأخ الثاني المعروف باسم كوتراغوس نهر الدون، واستقر مقابل أخيه باتاياس، أما الأخ الثالث واسمه أسباروخ فقد احتل الأراضي الواقعة غربي الدنيسر، في حين توغل الأخوان الرابع والخامس إلى ما وراء نهر الدانوب، في حين قام الخزر الذين يصفهم تيوفانس «بالأمة العظيمة» «من داخل برزيليا في السارماشيا الأول»، بالتقدم، واستحوذوا لأنفسهم على جميع الأراضي الممتدة حتى البحر الأسود، وأخذوا الجزية من السكان الأصليين الذين تخلفوا في المنطقة[1]، وقد اكتملت هذه التغييرات على هذا الشكل حوالي عام 679م، عندما عبر اسباروخ نهر الدانوب، واستولى على ما نسميه الآن بلغاريا[2].

ويتحتم علينا أن نلاحظ أن هذه الرواية تقدم قاعدة للرأي القائل إن اسم البلغار يعني الخمسة (ايغور؟) وتبعاً لما ذكره قسطنطين بورفيروغنتوس جرى بعد تلك الحوادث التي ذكرت استبدال اسم أونوغوندور بالبلغار[3]، ويوحي هذا أن التغيير قد بدأ متأخراً، إذ من الواضح أن الأونوغوندور لم يتخذوا ذلك الاسم الجديد إلاّ بعد أن خضعت قبيلة أو

---

(1) ثيوفانس، ط. بون: 544... نقفورس، ط. بون 38... بري، الإمبراطورية الرومانية المتأخرة: 2/ 332، إنه يرى هنا أن هذه الملاحظة تؤخر الحوادث كثيراً أي حوالي القرنين، انظر أيضاً مرقوارت: 505، ويبدو أنه من المستحسن الاحتفاظ بتاريخ القرن السابع وذلك مع مينورسكي، حدود العام: 467، انظر أيضاً ما ألمح إليه بري، المصدر نفسه: 336.

(2) تقول الجغرافية ـ معتمدة المصدر نفسه ـ (مرقوارت، المصدر نفسه، 529): أن أسبار ـ هروك (أسباروخ) استقر أثناء فراره من بلاد الخزر في جزيرة بيوك على الدانوب (تحقيق سوكرى: 17/ 5/ 25/ 25. اقتباس مرقوارت، إيران شهر).

(3) Dethen. ط. بون: 64.

أكثر من قبائلهم لحكم الخزر، أما البلغار فقد ورد اسمهم بوضوح حوالي ذلك التاريخ[1]، أما الاسم الآخر فنقابله في رواية أخرى مستقلة عن الحوادث المذكورة، وهو ربما كان اسماً بديلاً للأونوغور[2].

إن أقدم الأحداث المسجلة في محيط التاريخ الخزري هي التي وردت في (جواب يوسف)، وهي وثيقة باللغة العبرية، لها أهمية خاصة، ولسوف نعنى بها فيما بعد، ويمثل الحدث المذكور نصراً عظيماً أحرزه الخزر ضد شعب يسميه هذا المصدر ونتر W-N-N-T-R، «وكان الونتر هذا شعباً أكثر عدداً من الخزر، ومع هذا فقد هزم أمامهم، ولم يستطع أن يقف في وجه هجومهم حين طاردوه ولحقوا به حتى نهر الدونا (أي الدانوب كما هو مرجح) وقد ظلت البقية الباقية من هذا الشعب تعيش على ضفاف نهر الدونا قرب القسطنطينية» بعيدة عن حكم الخزر، في زمن كاتب هذه الرواية، ولاشك أن هذه الرواية نسخة عما ذكره تيوفانس.

ومن نافلة القول أن نذكر أن تغيير الاسم من أونوغوندور إلى ونتر في الأحرف العبرية مناسب ومعقول، ما دام أن هناك شعب يدعى وندر W-N-N-D-R في القوقاز، وذلك حسبما ذكره صاحب كتاب حدود العالم (القرن العاشر)، ولا يمكن تفسير وجود هذا الشعب إلا بأنه من بقايا البلغار[3]، ويتصل بكلمة وندر اسم آخر هو نندر N-N-D-R، ذكره الكرديزي[4]، وربما كانت هذه كلمة وبندر نفسها التي ذكرها ابن الأثير[5]، وهي

---

(1) عند زخرياسي رينور «برغاري» (مرقوارت: 505).

(2) كذلك عند مورافسك «Ungarische Jahrbucher»: 10/ 72 ـ 73 نقل من قبل برتساك في استعراضه لدراسات زاجاتسكوتسكي في در ـ إسلام: ب 29/ 102).

(3) مرقوارت «Ungarische Jahrbucher»: 4/ 275، نقل من قبل زكي وليدي Volkerschaften: 48، وقد وجد أن المحصلة موضع جدل كبير، انظر المناقشة الطويلة لدى مينورسكي في حدود العالم: 465 ـ 471.

(4) تحقيق بارثولد: 98.

(5) سنة 104.

تقابل ننذرويه لدى حافظ ابرو[1]، وكلمة ولندر لدى المسعودي[2]، ويبدو أن بعض هذه الكلمات أو جميعها تحتفظ باسم البلغار القديم.

ولا يقدم «رد يوسف» لنا إثباتاً يدل على المكان الذي كان به الخزر قبل مجيئهم للاستيلاء على البلاد التي احتلوها، ويرى ثيوفانس أنهم تقدموا وهاجموا شعب الأونوغوندور كما سلف وذكر «من داخل برزيليا في السارماشيا الأول» وبالنسبة لبرزيليا نجد أن نقفوروس يطلق عليها اسم بيريليا[3]، ولكن كلا الشكلين لهذا الاسم غير معروفين في الجغرافيا القديمة، بيد أنه يمكننا توضيح هذا الاسم استناداً إلى المصادر الشرقية.

ويذكر التاريخ الأرمني اسم الباسيليين مع الخزر، ويقول ميخائيل السوري إن الجد الأسطوري للخزر عمد إلى احتلال بلاد اللان، التي تدعى برسيليا. ويذكر قدامة في الرواية التي قدمها عن المجابهة التي حدثت بين أنو شروان وملك الخزر (الذي يدعوه البلاذري باسم ملك الترك)، أن هذه المجابهة قد حدثت في «برشلية»، وهذان الاسمان[4] قريبان من برزيليا التي ذكرها ثيوفانس، والتي تبدو أنها ناحية من نواحي القوقاز، ويوجد في الجغرافية الأرمنية ذكر لمملكة الهون شمال دربند[5]، وعاصمتها فرشان في الغرب[6].

أما البيروني الذي جاء في وقت تال، فقد ذكر مكاناً يقع بين باكو، ودربند، اسمه «ورثان»[7]، من المحتمل أنه فرشان نفسه، كما أنه يبدو بصيغة «ورصان» في إحدى الروايات العبرية، التي تصف تحول شعب الخزر إلى الديانة اليهودية[8]، ومن المحتمل بعد هذا أن تكون كلمة فرشان (ورثان) هي كلمة برشلية نفسها، وقد أيد مينورسكي هذا

---

(1) نقلاً عن دورون عن البلعمي: 468.

(2) عرض النص مترجماً مع مناقشة فيما يلي الفصل السابع.

(3) مرقوارت: 490 رقم 3 واقترح القراءة أن تكون بير (ز) يليا).

(4) انظر الفصل الأول.

(5) تحقيق سوكرى: 27/ 14 (اقتباس مرقوارت: 58).

(6) يبدو أن «غرب» هو جنوب، كما أن «شرق» هو شمال في المصادر (نهر اتل شرقي دربند).

(7) اقتباس زكي وليدي، ابن فضلان: 298. وهنالك مدينة أخرى تحمل الاسم نفسه «ورثان» أو «ورثان» تقع في الجنوب على نهر أركس (مينورسكي، حدود: 395).

(8) انظر الفصل 6.

الرأي[1] إنما نحن لا نعلم بشكل واضح كيف تحول هذا الاسم فأخذ شكلين باللغة العربية، ولعل كلمة ورثان هي اللفظة المحلية للكلمة التي تلفظ بالأرمنية، في حين أن كلمة برشلية فيها محاولة لتطبيع هذه الكلمة مع ما جاء في لغة أخرى مثل برزيليه وبرسيليا، ولا يسعنا هنا إلا أن نوافق على رأي زكي وليدي، القائل بأن كل «فرش» و «برش» هما اسمان لقبيلة[2].

ومما يؤسف له أن تبدو الإشارات التي عثرنا عليها غامضة، وهي لا تسمح لنا أن نحدد مكان برسيليه والبارسليين على أنه رقعة صغيرة من الأرض في الطرف الشرقي للقوقاز، وفيما عدا مدينة موجودة في منطقة الداغستان، ليس هنالك دليل قاطع على وجود هذا الاسم على نهر الفولغا كما رأينا، وقد عدّ ميخائيل السوري أن برسيليا هي «ألانيا» نفسها، أي أنها تقع في ممر داريال في وسط القوقاز.

ولقد سبب الآفار الأدعياء في عام 558م، الذعر للشعوب التي كانت تحتل الأصقاع الجنوبية الشرقية من أطراف أوروبا، ونذكر من هؤلاء شعب السرسلت، ويمكننا عندما نقرأ هذا الاسم (سرسلت) أن نربطه بثقة واطمئنان بكلمة برزيليا، ومن الواضح أن البرسليين قد وجدوا في أجزاء متناثرة من المنطقة التي دعيت فيما بعد باسم خزاريا.

وإذا كان من الصعب علينا أن نقرر ما الذي كان يقصده ثيوفانس بكلمته التي ذكرها وهي «برزيليا»، يمكننا أن نلاحظ أن الضوء قد ألقي على الأوضاع قبل تقدم الخزر ضد البلغار، ويبدو أن الخزر قد أخضعوا في الواقع البارسليين في تاريخ أقدم، فلربما جرى إظهارهم في المقطع الذي جرى اقتباسه من الجغرافية الأرمنية، وهم على وشك الإقدام على التحرك لتنفيذ هذا الغرض، ولا شك أن هذا يبدو تفسيراً مناسباً لعبارة أخرى وردت في الكتاب نفسه، حيث يلقب ملك الشمال بالخاقان، أو سيد الخزر، بينما تلقب ملكة الشمال بخاتون شعب البارسليين[3].

---

(1) حدود: 453، حاشية 1.

(2) ابن فضلان: 156 ـ 157. وأن «البلكخ» (البغج) الذي ورد ذكرهم في الجغرافيا الأرمنية على أنهم يشكلون شعباً منفرداً مع الخزر هم أنفسهم (تحقيق سوكري: 26/ 16. مرقوارت: 154 وانظر أيضاً 57).

(3) مرقوارت: 58 ـ 59.

لا يمكن أن يتطرق الشك إلى أذهاننا بالنسبة للحقيقة التي تؤكد تغلب الخزر على البلغار، أو أهمية هذا الحدث بالنسبة لتطور البلغار بعد ذلك، فالمصادر تكرر القول أن البلغار الذين قطنوا في حوض الفولغا الأوسط، كانوا خاضعين لخاقان الخزر في القرنين التاسع، والعاشر[1]، ومع أننا لا نستطيع أن نجزم متى حدث هذا بالضبط، إلاّ أن إرجاع هذه الأوضاع إلى الحوادث التي ذكرناها ما هو إلاّ من قبيل الحدس المعقول.

وإذا كان بلغار الفولغا الهاربين القادمين من الجنوب (وهذا أمر شديد الاحتمال)، فإنه من الممكن أن يكون قد مرّ بعض الوقت قبل أن يضطروا للاعتراف بسيادة الخزر عليهم، وهذا يقدم لنا تعليلاً لاحتفاظهم بشخصيتهم المستقلة، وهويتهم التي خسرها أقرباؤهم الذين ظلوا يسكنون في المنطقة الواقعة بين بحر آزوف والقوقاز (قبيلة الباتباياكا)[2].

ومن الواضح أن فتح سبل هذه الأراضي الجديدة أمامهم، لابد وأنه قد قدم للخزر فرصاً وإمكانات لم تخطر لهم على بال، إذ أنهم بنفاذهم إلى البحر الأسود، الأمر الذي تم بسهولة بعد غلبتهم على البلغار، دخلوا بكل يسر لأول مرة منطقة كان النفوذ البيزنطي هو السائد والمتفوق فيها، ولابد أنهم أخذوا حينئذ الطريق إلى شبه جزيرة القرم، إن لم يكن ذلك قد حدث في وقت أبكر، حيث سنسمع في القرن السابع بوجود حاميات خزرية قد تمركزت هنالك في تلك المنطقة بشكل ثابت[3]، وقد أصبحوا في شبه جزيرة القرم على اتصال مباشر مع الإغريق وهكذا تحسنت أحوالهم المادية والمعنوية في وضعهم الجديد، فضلاً عن أنهم ـ كما هو محتمل ـ تأثروا بالمظاهر العقلية والثقافية لحضارة كانت متفوقة على كل حضارة عرفوها من قبل[4].

بيد أنه قد ظهرت في تلك الآونة سلسلة من الأحداث في جزء آخر من العالم، ففي عام 641م، أو حتى قبل ذلك كان العرب قد توغلوا بجيوشهم في الأطراف الجنوبية

---

(1) انظر الفصل الخامس.

(2) من أجل الفوارق بين البلغار والخزر، انظر رحلة ابن فضلان.

(3) انظر الفصل السابع.

(4) من الممكن أن الخزر أخذوا يهوديتهم عن يهود خزر.

المجاورة للقوقاز، ومن المحتم أن غزو البلاد الواقعة في شمال المنطقة الجبلية ما كان ليتأخر طويلاً، آخذين بعين التقدير، شدة اندفاع العرب في تقدمهم آنذاك.

ويبدو أن توسع الخزر العظيم - الذي أتينا على ذكره - باتجاه الغرب لم يكن قد حصل بعد، لأنه من الصعب تصور النتيجة محصله حملة عام أو عامين، وعليه يكون احتمال حصولها في الربع الثالث من القرن السابع أكثر من احتمال ذلك في منتصف ذلك القرن، ومهما يكن الحال من المؤكد أنه عندما تدفق الفاتحون المسلمون للمرة الأولى سنة 642 على المنطقة الواقعة شمال باب الأبواب (دربند)، كان الخزر باسطين سيطرتهم هنالك من قبل.

وإنه لمن الأهمية بمكان بالنسبة لحوادث التاريخ التالية، أنه في اللحظة التي جلبت فيها انتصارات الإسلام العرب إلى حاجز القوقاز، التقوا بالخزر الذين كانوا نشطين ويقومون بأعمال التوسع، ومع أن سلسلة الجبال العظيمة كانت ستسبب صعوبات جمة للغزاة القادمين من الجنوب، فقد كانوا سيتغلبون عليها عاجلاً أم آجلاً ما لم تواجههم مقاومة شديدة حسنة التنظيم.

ولقد كان هذا ما واجهوه في الخزر، لأنه على الرغم من أن جيوش المسلمين قد حاولت في المئة سنة التالية أن تزحف إلى ما وراء القوقاز، ونجحت في ذلك في بعض الأحيان، لم يتمكن العرب من توطيد أقدامهم في شمالي تلك الجبال. فعلى الرغم من جميع ما بذلوه من جهود، جرى صدهم بشكل فعال، فيما عدا مناسبة واحدة - سيجري وصفها فيما بعد - ولذلك لم تسمح لهم الظروف باستغلال نصرهم استغلالاً كاملاً.

وشابهت الأوضاع في جبهة القوقاز في أيام الإسلام الأولى أوضاع خطوط المواجهة في جبال البرانس التي وصلتها جيوش الإسلام في تاريخ متأخر بعض الشيء، فلقد كان الخزر مثلهم مثل الفرنجة يملكون من القوة ما فيه الكفاية لكبح اندفاع الغزاة، ولقد تقرر الأمر في الغرب في معركة عظمى حدثت في سهل تور العظيم الذكر عام 732 (بلاط الشهداء)، بينما ظلت النتيجة في الشرق ضد الخزر مشكوكاً فيها مدة طويلة.

ومع هذا فإنه عندما تبددت طاقة الهجوم لدى الخلافة، كانت دولة الخزر ما زالت قائمة، فبعدما استولى العرب على الأراضي الفارسية السالفة وصولاً حتى القوقاز برهنوا على أنهم غير قادرين على توسيع فتوحاتهم أكثر، فلقد زحفوا في عدة مناسبات داخل

أراضي الخزر ثم أعادوا الزحف، لكن دون الوصول إلى حل نهائي للصراع، وبناء عليه قام فيما وراء القوقاز بعد سنين من الحروب المتوالية، دولة خزرية مستقلة، صحيح أنها كانت مقلقلة، لكنها كانت تمتلك مساحات من الأراضي أكبر مما كانت تمتلكه عندما ظهر العرب للمرة الأولى، وتمتلك أيضاً احتياطياً من الطاقة سيظهر فيما بعد.

وصحيح أنه أمكن للإسلام الازدهار هنا[1]، إنما كديانة متسامح معها (مثل المسيحية الخزرية)، ولم يجر فرضها بواسطة الجيوش الفاتحة، وكانت نتائج دفاع الخزر واسعة الانتشار. فكما لاحظنا من قبل لو أن هذه الأمة كانت غير قادرة على الاحتفاظ بذاتها، لاختلف تاريخ شرقي أوربا وخاصة، تاريخ دولة روسيا اختلافاً كاملاً[2].

وكان أول القادة العرب الذين ورد ذكر ظهورهم في أحواز باب الأبواب (دربند) هو بكير بن عبد الله، وكان قد أرسل من قبل في سنة 21هـ/ 641م[3] إلى أذربيجان مع قائد آخر، ووجه الخليفة في السنة التالية سراقة بن عمرو نحو دربند، وكان على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، وعندما وصل الباهلي إلى غايته وجد بكير قد تقدم عليه، معسكراً على مقربة من المدينة[4]، وتبعاً لذلك التحق بسراقة وتسلم منصباً قيادياً تالياً.

ـ والحادث الرئيسي الذي وردت أخباره أثناء سير الأحداث، إثر وجود القوات العربية في القوقاز للمرة الأولى، هو الحديث الذي جرى بين عبد الرحمن والحاكم الفارسي لدربند واسمه شاه براز، حيث قيل إنه عندما وصل عبد الرحمن إلى دربند طلب منه الفارسي الحماية، وشرح شاه براز أثناء المقابلة لعبد الرحمن أوضاعه، وبيّن أن ما من شيء يربطه بالبرابرة المحيطين به وأنه لم يقدم لهم المساعدة ضد العرب، ذلك أن روابط القرابة يربط بين العرب وقومه من الفرس، لأنهما من أصل نبيل، وبناءً على هذا اقترح أن

---

(1) أنظر النص مترجماً في الفصلين الخامس والسابع.

(2) مع أنه لا مكانة لـ «لو» في التاريخ. ولا شك أن انتصار العرب على الخزر ودخولهم أوربة الشرقية، كان سيمكن ـ عدا عن الهداية إلى دين التوحيد ـ هذه البلاد من الدخول إلى ميادين الحضارة قبل عشرة قرون على الأقل، ولا شك أن ذلك كان سيفيد الإنسانية جمعاء.

(3) الطبري: 1/ 2635، 2661.

(4) المصدر نفسه: 2663.

ينضم إلى المسلمين، وطلب أن يعفى مع أتباعه من الجزية مقابل خدماتهم، وعندما قام عبد الرحمن بإخبار سراقة بما جرى، قرر سراقة إعفاء الرجال الذين يشاركون بشكل فعلي بالزحف، من دفع الجزية، بينما يجب على الآخرين الدفع، ووافق الخليفة عمر على قرار سراقة، وغدا ذلك إجراءاً معتمداً يمارس في الأجزاء التي يشتد فيها القتال[1].

ويبدو في الحقيقة أن النظام الفارسي قد تم تدميره بالكلية، وتبعاً للبلاذري اقتسم الخزر، والروم البيزنطيون، أرمينيا[2]، وشكل هذا عودة إلى وضع سالف إذ كان الجزء الغربي فيه يحكم قبل قدوم الفرس من قبل حاكم بيزنطي، في حين عادت الأمور في أران، وجورجيا، إلى الخزر[3]، وسواء أكان صحيحاً أم لا الحديث عن وجود الخزر في جنوب القوقاز في هذه المرحلة، فنحن نعتقد أن وضع الحاكم الفارسي في دربند كان غير مستقر نظراً لإحاطته بالأرمن، وإن كانوا ضعفاء، وتهديده من قبل أعداء أكثر قوة.

وهناك نص هام يحوي كلام شاه براز، أورده البلعمي الذي تقرر الآن أن كتابه يمثل مجرد ترجمة مختصرة لتاريخ الطبري إلى اللغة الفارسية[4]، فقد عبر شاه براز، أو شهريار، كما جاء ذكره هنا، عن شكواه بأنه واقع في تلك الحقبة بين عدوين هما الخزر والروس[5]، ومن الصعب أن نفهم الذي عناه هنا، لاسيما وأننا سنتعايش مع قيام قوة الروس في قرن مقبل هو القرن التاسع، لا القرن السابع، ومن المفترض أن هذا لا يعدو مجرد صدى للأحاديث التي ستأتي عن الروس فيما بعد، هذا وإن الوضع الجغرافي المتصور هو بعيد عن الوضوح أيضاً، ويرى زكي وليدي في نص البلعمي شارة إلى أن الخزر كانوا يشتركون في حرب الفرس، كما تحدث المسعودي عن ذلك في القرن العاشر[6].

---

(1) المصدر نفسه: 2663 ـ 2665، وانظر أيضاً مقدمة ابن خلدون، ط. بيروت، القاهرة: 142.

(2) البلاذري: 197.

(3) المصدر نفسه: 194. أنظر الفصل الأول.

(4) ط. دورن: 500.

(5) ر. بارت، الموسوعة الإسلامية. مادة طبري، أنظر أيضاً زكي وليدي. ابن فضلان: 254.

(6) ابن فضلان: 253 ـ 254، Volkerschaften: 54 ـ 56.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن مرقوارت قد نفى صحة قصة شاه براز كلية، ولعل ذلك جاء منه بشكل متسرع للغاية[1]، ذلك أن نص المعاهدة الذي أثبته الطبري، وجاء فيه إعطاء الأمان لـ سكان أرمينية (المستوطنين الفرس؟)، والأرمن (السكان المحليين للبلاد؟) قد شهد عليه عبد الرحمن بن ربيعة، وسلمان بن ربيعة، وبكير بن عبد الله، وكان هؤلاء الشهود من العاملين في تلك المنطقة وكان سلمان بين ربيعة، أو سلمان الخيل هو الأخ الأصغر لعبد الرحمن بن ربيعة.

ويبدو أن قصة شاه براز فيها عناصر من المبالغة، حيث قيل إن سلمان كان مع عبد الرحمن في دربند لدى عودة رجل سلف إرساله لاستطلاع سد ذي القرنين، حيث أخذ يصف لهما ما كان قد شاهده، ومهما يكن من أمر يبدو أن صورة الحاكم الفارسي في وضعه الحرج والمهدد من قبل السكان المحليين الذين ربما كانوا يتلقون المساعدات من الخزر في الجانب الآخر من القوقاز، إن هذه الصورة لا شك صحيحة[2].

وبعدما جرى فتح الباب، أرسل سراقة قادة جيشه في مختلف الاتجاهات، ولدى إخبار الخليفة بما صنع والنجاحات التي حققها تملكته الدهشة وسره الخبر، ولم يحقق قادة سراقة نجاحات كبيرة، وقد مات سراقة بعد هذا بوقت قصير وحل عبد الرحمن بن ربيعة محله، ولم نعد نسمع بأخبار بكير، وكل ما في الأمر أن الخليفة عمر وافق على ولاية عبد الرحمن وثبّته في منصبه، وأمره بمتابعة الزحف شمالاً ضد الخزر[3].

وروى الطبري خبر محادثة جرت آنذاك بين عبد الرحمن بن ربيعة، والحاكم الفارسي السالف للباب، حيث سأل هذا الحاكم عبد الرحمن عن وجهته، فأجابه إلى «بلنجر»، وكانت بلنجر مركزاً خزرياً هاماً[4]، قائماً على نهر يحمل الاسم نفسه[5]،

---

(1) إيران شهر: 107.

(2) الطبري: 1/ 2665 ـ 2671. البلاذري: 198. ابن عبد البر، الاستيعاب: 400.

(3) الطبري: 1/ 2666 ـ 2667. ابن حجر، الإصابة: 2/ 134.

(4) المسعودي (التنبيه: 62) حيث يقول إن بلنجر كانت عاصمة الخزر الأولى.

(5) البلاذري: 204، وقد حددها زكي وليدي على أنها «قوي ـ سو».

على مسافة قصيرة، وممر سهل من دربند[1]، ومن المفترض أن شهر براز قال له: «كنا (نحن الفرس) لنرضى منهم (البرابرة) أن يدعونا من دون الباب» فأجابه عبد الرحمن حسناً: «لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم، وتالله إن معنا لأقواماً لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الردم، قال: وما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بنية، كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية، فازداد حياؤهم وتكرمهم، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم، ولا يزال النصر معهم، حتى يغيرهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غيرهم»، وهكذا زحف المسلمون للمرة الأولى - كما قيل - داخل بلاد الخزر[2].

وروى الطبري أن العرب غزو بلنجر في هذه الحملة الأولى (22هـ/ 642م) دون أن تلحق بهم أدنى خسارة، حتى أن فرسانهم توغلوا حتى البيضاء على مائتي فرسخ من بلنجر[3]، وهذا الجزء من الخبر موضع شك، ذلك أن البيضاء اسم أطلقه العرب في هذه الحقبة المبكرة على أتل (أتل الخزر) عاصمة الخزر على نهر الفولغا، حيث لا شك أنها المقصودة هنا، فيما لا ريب فيه أن الخزر كانوا في 642 قد استقروا هناك، إنما بشكل مبعثر يصعب فيه الإدعاء بأنها كانت عاصمتهم[4].

---

(1) من المحتمل أن بلنجر قد كانت حيث موقع خرائب «إندري» قرب «أندرييف» وذلك تبعاً لأرتمونوف (دراسات: 93)، وخطأ ما قاله أرتمونوف من أن بلنجر هي سمندر نفسها، فلقد وصفت سمندر مراراً في المصادر العربية على أنها كانت بعيدة عن باب الأبواب (دربند) وهذا واضح بشكل مفصل في أخبار حملتي الجراح بن عبد الله 104/ 722 ومروان بن محمد 119/ 737، وهنا نجد أن بلنجر متميزة تماماً عن سمندر، وصحيح أن المسعودي قد قال في مروج الذهب (انظر الترجمة في الفصل السابع) إن سمندر هي عاصمة الخزر القديمة وقال أيضاً في التنبيه إن بلنجر عاصمة الخزر القديمة - فقد ردد العبارة نفسها: دار مملكة - إن هذا لا يعني أنه أراد أن المدينتين مدينة واحدة، ورأى مرقوارت في البداية (16/ 492) إن بلنجر هي «فارشان». انظر بلخ في الحاشية 6 ص75، واستخرج أرتمونوف الذي عدّ بلنجر هي فارشان، الاسم الغريب «بلخ» من «دربند نامه» وهنالك مواد ذات صلة بذلك في ابن فضلان: 298 - 299 (الحواشي).

(2) الطبري: 1/ 2667.

(3) المصدر نفسه: 1/ 2668.

(4) وتبعاً للمسعودي (مررج: 2/ 7) جرى تحويل عاصمة الخزر من سمندر إلى أتل على الفولغا أيام سلمان بن ربيعة.

ومهما يكن الحال إن الحديث عن توغل المسلمين إلى هذه المسافة في حملتهم الأولى فيه مبالغة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا شك أن المقاومة الخزرية كانت بشكل غير متوقع خفيفة، وهذا أمر مدهش بالقياس إلى مقاومتهم الشديدة فيما بعد، ولقد وجد جيش العرب في هذه المناسبة خصومهم، وقد تحصنوا في عدد من المراكز، ورفضوا الاشتباك على أي مستوى كان.

ويروي مؤرخنا العربي أن الخزر توصلوا بسرعة إلى قناعات مفادها أن أعداءهم لا يموتون، وإذا لم يكونوا كذلك فهم مخلوقات خارقة للطبيعة، أو يتلقون مساعدة من السماء، ولا يشبه هذا النص النصوص التي استخدمت لوصف المنتصرين المسلمين في أماكن أخرى، ولعلها تمثل ردة فعل شعب بسيط بدون تجارب سالفة ولم يتقدم له أن نزل به ما نزل الآن، وإذا ما أخذنا هذه الأوضاع بعين التقدير، لا نستبعد قيام الغزاة بالتوغل إلى هذا العمق، أي حتى الفولغا، لا سيما وأن المصادر مجمعة في تقديرها للمسافة التي قطعت[1].

ويرفض مرقوارت أن يكون قد تم الوصول إلى البيضاء، ويرى أن عملية الزحف على بلنجر قد أرخ لها الطبري بشكل خاطئ، وأنها حدثت كما يرى (مرقوارت) في عام 32هـ/ 652م[2]، وقد حدث أن قام بإعادة رواية الحادثة في أخبار سنة 32هـ، هذا ويلاحظ من جهة أخرى أن البلاذري لا يذكر شيئاً عن قيام هجوم إسلامي على بلنجر في عام 22هـ/ 642م. وبالمناسبة لا يقدم مرقوارت سبباً يؤيد رأيه في اختياره للتاريخ الذي هوجمت به بلنجر للمرة الأولى.

ونجد الطبري يذكر بكل وضوح أن عبد الرحمن كان يقوم بشكل مستمر بغزو بلاد الخزر، ولم ينقطع عن الإغارة على بلنجر[3]، كما أنه واضح تماماً لدى الطبري نفسه أن ما حدث لم يقتصر على هجوم عبد الرحمن على بلنجر عام 22هـ، لكن الهجمات على بلاد

---

(1) أنظر البلعمي: 503 (في ترجمة زوتنبيرغ: 3/ 495، «إحدى وعشرون فرسخاً» حيث ليس هنالك نسخة مخطوطة معتمدة) ويقول حافظ أبرو (دورن 581) إن تركستان قد دخل بها مسافة مائتي فرسخ.

(2) مرقوارت: 491.

(3) 2/ 2/ 138.

الخزر ـ حيث كانت بلنجر الهدف الرئيسي ـ قد وقعت مراراً وتكراراً في السنوات التالية، وهكذا جرى تدوين أخبارها[1]، ونجد في مقابل هذا إن صمت البلاذري، وشكوك مرقوارت غير المعللة ليس لها أدنى وزن.

والشيء الذي نختلف فيه مع المصادر العربية، هو تأكيدها على أن العرب لم يصابوا بأية خسائر في حروبهم ضد الخزر حتى حدوث المعركة العظمى عند بلنجر، وهي المعركة التي قتل فيها عبد الرحمن بن ربيعة، وإن قبول ذلك هو بحدود المعقول، ولقد تحدث البلعمي عن سفك بعض الدماء العربية في الحملة الأولى[2]، ولعل السبب الذي جعل الروايات تتحدث هكذا هو أن الحملات التالية كانت حملات صغيرة، وبناءً عليه كانت خسائر الغزاة لا قيمة كبيرة لها، وعلى كل حال فإنه في هذه الرواية، كما في روايات وأحاديث عربية أخرى بعض آثار المبالغة الوطنية.

وحدث بعد هذا بوقت قصير، ربما في سنة 24هـ[3]، أن جرى تعيين الوليد بن عقبة، أخو عثمان لأمه والياً على الكوفة، وكان الوليد مثله مثل أبيه لا يتمتع بسمعة حميدة في الإسلام، فلقد قيل بأن قوله تعالى في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[4]، قد نزلت بحقه، وسبّب ظهوره أثناء إمامته لصلاة الصبح، أثناء ولايته، وهو ما يزال سكران من كثرة ما شربه في الليل، أزمة كبيرة.

ويبدو أن عثمان قد أقدم على تعيين أقربائه، على أمل أن يمتن من قبضته على الكوفيين، وكان الوليد يمكن أن يساعد في هذا السبيل، وتحدث الطبري عن حملة قام بها الوليد داخل أذربيجان، وأرمينية، بعد وقت قصير من تعيينه، ويروى أنه استدعى سلمان بن ربيعة، من أحواز الباب كما هو مفترض، ثم أرسله من بعد نحو الحدود على رأس مقدمته، أما بالنسبة لعدد المسلمين الذين اشتركوا في هذه الحملة فنجد الطبري يحتفظ لنا بخبر يتعلق بهذه الحقبة، فيه أن الكوفة كان فيها آنذاك أربعين ألف مقاتل،

---

(1) الطبري: 1/ 2668، 2889 ـ 2891.

(2) دورن: 505.

(3) الطبري: 1/ 2804.

(4) القرآن الكريم: 49/ 6.

كانوا يغزون تقسيطاً على مدار أربع سنوات ولقد كان من عشرة الآلاف المخصصة لكل عام بعض القوات الموزعة بشكل دوري على المناطق، فقد كان هنالك ستة آلاف في أذربيجان بشكل دائم[1].

ولاشك أنه عندما ترك الوليد الكوفة شخصياً، قد جرى تجنيد المزيد من القوات من بين العسكريين من أهل الكوفة، فلقد قيل بأنه أرسل كتيبة فيها أربعة آلاف رجل تحت قيادة واحد من قادته، وكانت ذات قوة كافية للسيطرة على جميع أذربيجان، وعند نهاية هذه الحملة أعطى الوليد سلمان بن ربيعة قوة مؤلفة من اثني عشر ألف رجل للمضي على رأسها إلى أرمينية، وكانت وظيفة سلمان كما يبدو جمع الجزية والخراج من السكان المتمردين، ولم تتحدث الروايات عن أعمال ضد الخزر.

وروي أن حملة أرمينيا كانت ناجحة، وأن سلمان التحق ثانية بالوليد حيث قام الجيش بأكمله بالانسحاب إلى أحواز الموصل، ولم تكن أعداد القوات التي شاركت كبيرة جداً، وحيث أن الروايات حول الحملة الأكبر ضد الباب وما وراءه لم تذكر أية أرقام لا يمكن عقد أية مقارنة في هذا المقام مع حملة الوليد بن عقبة، ويمكن على كل حال الافتراض أن قوات المسلمين في كلتا الحالتين لم تكن تختلفان كثيراً.

وتلقى الوليد لدى عودته رسالة من الخليفة يقول فيها بأن الروم البيزنطيين كانوا في الغرب يضغطون بشدة على المسلمين، وأمره بإرسال ما بين ثمانية إلى تسعة آلاف من عساكر الكوفة للتفريج عن المسلمين في الحال، والتقى الوليد برجاله وشرح لهم الموقف، وانتدبهم للحرب ضد الروم، فاجتمع له ثمانية آلاف في وقت قصير، كانوا جاهزين بقيادة سلمان بن ربيعة للتوجه، وتوجه سلمان مع قواته للالتحاق بحبيب بن مسلمة، قائد القوات الشامية، وتابعت القوات جميعها زحفها ضد الروم[2].

وليس من المستبعد أن تكون إمرة عبد الرحمن في الباب قد انقطعت بحملة الوليد لعام 24هـ/ 644م، ولكن ظهر في الأعوام التالية أنه قد نال مساعدات من الكوفة[3]، وقام

(1) الطبري: 1/ 2805.

(2) المصدر نفسه: 1/ 2807، انظر أيضاً 2/ 977.

(3) المصدر نفسه: 1/ 2891.

بغزو بلاد الخزر بشكل متواصل، وأشار إلى هذه الحقبة حفيد الوليد بن عقبة حيث تذكر أيام جده العظيمة عندما كان عبد الرحمن متسلماً للقيادة في الباب[1].

ومن المحتمل أن سلمان بن ربيعة كان يعيش مع أخيه الأكبر خلال هذه الحقبة، وقد ذكر المحدث ابن عبد البر رجلاً اسمه شقيق بن سلمة، روى أنه عندما غزا بلنجر تحت قيادة سلمان، جرى منع الرجال بشكل دقيق أن يحملوا معهم أية غنائم على ظهور حيوانات النقل، أي كان بإمكانهم حمل ما كان بإمكانهم حمله بأيديهم أو على ظهورهم[2].

وقد أشار إلى هذه المناسبة أو مناسبة مماثلة زهير بن القين الذي كان مع الحسين في كربلاء، فقد ردد آنذاك عبارات كان سلمان قد قالها أمام الناس قبل الاشتباك في حملة ناجحة ضد بلنجر، وقد سأل سلمان أصحابه قائلاً «أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟» فأجابوه «نعم» فاستطرد سلمان يقول: «إذا أدركتم شباب آل محمد، فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم، منكم بما أصبتم من الغنائم»[3].

ونجد سلمان ينقل عنه ثانية فيما يتعلق بردة فعل الخزر تجاه الهجمات العربية[4]، لكن هذه العمليات كانت بلا شك على مستوى صغير، ويبدو أن المسلمين كانوا في الحقبة الممتدة فيما بين 22هـ/ 642م و 32هـ/ 652م مشغولين بما فيه الكفاية في حل مشاكلهم في أرمينيا، وأذربيجان، ولم يأت في الأخبار، ما يشير بالتفصيل إلى عمليات خلال هذه السنوات في بلاد الخزر.

وذكر الطبري أنه جرى في سنة 30هـ/ 650م إرسال حذيفة بن اليمان إلى أذربيجان، وكان معسكراً آنذاك في الري[5]، ويبدو أن عبد الرحمن الذي كان في الباب كان يعاني من

---

(1) المصدر نفسه: 1/ 2844.

(2) الاستيعاب: 558.

(3) الطبري: 2/ 291.

(4) المصدر نفسه: 1/ 2668.

(5) المصدر نفسه: 1/ 2856.

المصاعب وقد احتاج إلى المساعدة، أما بالنسبة لأوضاع المسلمين وأوضاع الخزر، فهي لسوء الحظ غامضة.

هذا ونسمع من جانب آخر عن بداية نشوء بعض الخلافات بين العرب في هذه الجبهة، ففي الوقت الذي كانت فيه القوات العربية نشطة في المناطق المجاورة للباب، توصل حذيفة بن اليمان إلى قناعة بأنه هنالك حاجة ماسة إلى توحيد نص قراءة القرآن الكريم، وذلك إثر رؤيته الخلافات بين المسلمين حول قراءة بعض الكلمات[1].

وقام حذيفة فيما بعد بإقناع الخليفة للإقدام على اتخاذ إجراء بصدد هذا الموضوع، ومن المقدر أن الجدل الذي ثار حول القراءة الصحيحة لنص القرآن الكريم، لربما قاد إلى نتائج خطيرة، لا سيما مع وجود صراع بين أهل: الكوفة، وأهل الشام.

ولقد كان الكوفيون غير راضيين عن عثمان وحكومته، وكانت شكواهم في ازدياد، ولم يحدث الانشقاق في منطقة الباب إلاّ بعد أمد[2]، لكن جاء في الروايات أن حذيفة أشار في عام / 30هـ/ إلى أن الأوضاع كانت متوترة هناك، الأمر الذي استفاد منه الخزر.

ولا توجد لدينا تفاصيل عن رسالة قيل أنها أرسلت في هذه الآونة من قبل يزدجرد، حامل لقب ملك فارس، إلى «ملك الخزر»[3]، وكان هذا الملك الساساني الأخير قد قام قبل موته الغامض سنة 31هـ - وهو يعيش منفياً ويعاني من الذل - بمراسلة مختلف حكام الشرق طالباً عونهم، لكن دونما فائدة، هذا وإن ما أورده كل من: الطبري، وابن الأثير، وابن خلدون، من أن ملك الخزر أبدى استعداده للقدوم، هو أمر محتمل، وقد كان الشاعر الأندلسي ابن عبدون يعرف هذه الرواية، حيث تحدث عن يزدجرد، والخزر، في قصيدته المشهورة التي نظمها حول سقوط بني الأفطس[4] (485/ 1092).

---

(1) ابن الأثير: سنة 30. نولدكه، ستشاولي.

Geechichte des Qurans, 11, 47FF.

(2) الطبري: 1/ 2893 - 2894.

(3) المصدر نفسه: 1/ 2876.

(4) ابن عبدون، تحقيق دوزي: 140.

ولقد جرت أخطر محاولة من قبل العرب لقهر الخزر في سنة 32هـ/ 652م. ونملك بالنسبة للظروف التي أحاطت بها معلومات شبه كاملة، وجاءت المبادرة من عبد الرحمن بن ربيعة الذي لم يقم التقدير لتوصيات عثمان بعدم المخاطرة، وقاد عبد الرحمن ما عدّ قوة إسلامية مناسبة إلى داخل بلاد الخزر، وكان هدفه المباشر، كما كان الحال في المناسبات المتقدمة بلنجر.

وقد تقدم لنا أن أتينا على ذكر حكاية أنهم كانوا لا يصابون بالجراح في اشتباكاتهم مع الخزر، وذكرت الروايات أن الخزر قرروا كما هو واضح اختبار قوة أعدائهم للمرة الأولى، فنصبوا كميناً لجماعة صغيرة من العرب، وقتلوا بعضهم أو رجلاً واحداً حسبما قالته الحكاية[1]، وهكذا تشجعوا، فغامروا بهجوم عام هزموا به المسلمين هزيمة كاملة، وتشير تفاصيل أخبار الكمين ربما إلى إغارة مبكرة، لكنها تعدّ حدثاً من أحداث الحصار الذي خضعت له بلنجر حينئذ من قبل الجيش المهاجم، ويبدو أن المدينة قاومت بشدة، ومن الواضح أنها كانت محصنة في هذه الآونة، لأننا نقرأ عن برج أنزلت منه أضراراً كبيرة بالمسلمين، وقد ملك الجانبان المجانيق، واستخدم المسلمون المجانيق والعرادات، ويبدو أن الخزر قد امتلكوا العرادات فقط[2]، ولهذا أهمية خاصة في ضوء نص لدى بروكوبيوس حيث أخبرنا عن السابيربين، وهي جماعة مقاتلة شرسة من جماعات الخزر، امتلكت منذ وقت قديم، وهي مقيمة في بلاد القوقاز، أسلحة خفيفة من إبداعها الذاتي، وقد سمحوا للروم البيزنطيين بمشاهدة كيفية صنعهم لها[3].

ويتركز جزء مهم من رواية الطبري حول مصير مجموعة من الكوفيين، ذكر أسماؤهم من قبل، بين حاشية ابن مسعود[4]، وكان ابن مسعود المعارض الديني الرئيسي في الكوفة لعملية توحيد نسخ القرآن التي جرت حديثاً في عام 30هـ، وكانت معارضته حادة بشكل

(1) الطبري: 1/ 2891، انظر أيضاً 2668. دربندنامه: 494.
(2) المصدر نفسه: 2892.
(3) 8/ 11/ 27. . .
(4) الطبري: 1/ 2896.

منفرد، ومن الواضح أن وفاة هؤلاء الكوفيين كانت هامة، لكن من الممكن أنها عرضت هكذا، وكأن فيها تورية على عقوبتهم لعدم طاعتهم، وجاء ذكر ثورة الكوفيين في دعاء عثمان عندما أخبر بالنازلة التي وقعت عند بلنجر، هذا ونشهد تعابير مماثلة في أماكن أخرى[1] تشير إلى أن مجرد وجود القوات في بلاد الخزر كان ضد ما أمر به الخليفة.

والذي حدث أنه بعد عدة أيام من القتال حول المدينة، قام الخزر من داخل المدينة بهجوم عام، وتوافق هذا مع ظهور قوات نجدات خزرية كانت كما يبدو من الفرسان[2]، وكان هذا الهجوم المشترك حسن التوقيت، ولهذا جاء ناجحاً بشكل مدهش، مع أننا لا نملك معلومات حول تفاصيل ما حدث.

وتبعاً لإحدى الروايات عندما حاول القائد المسلم جمع قواته سمع صوتاً ينادي: «صبراً آل عبد الرحمن إن موعدكم الجنة» وقاتل عبد الرحمن حتى قتل، وجاء مقتله بمثابة إنذار للمسلمين كي يفروا، لكن أخوه تسلم الراية، وسمع ثانية صوتاً ينادي في قلب المعركة: «صبراً آل سلمان بن ربيعة». واستجاب سلمان وخرج وهو يقول «أو ترى جزعاً؟»[3].

وتبعاً لروايات أخرى كان موت «قرظة» أحد قراء القرآن الكوفيين هو النقطة التي بدأت عندها الهزيمة[4]، وقد قتل في المعركة أربعة آلاف من المسلمين، ولقد أخبر الناجون كيف أنهم في نهاية المعركة كانوا يسمعون صوت «الله أكبر» مرات متتالية من وسط أرض المعركة[5]، وقد نجا بعض الناس مع سلمان إلى الباب، أما الآخرون فقد قيل بأنهم تابعوا فرارهم عبر جيلان لا بل حتى إلى مسافات أبعد، وورد[6] ذكر كل من أبي هريرة،

---

(1) المصدر نفسه: 1/ 2893، انظر أيضاً: 2669، الحاشية حيث النقل عن ابن حبيش.

(2) البلاذري: 204. ليس هنالك من سبب لعدم الاعتقاد، على الرغم من ابن الأثير (حوادث سنة 32) أن قوات الأتراك الغربيين قد اشتبكت، مع أن هذا ممكن نظرياً، وتتحدث رواية الطبري عن الحادثة أحياناً عن الخزر كترك (على سبيل المثال: 1/ 2890) ولم يفهم ابن الأثير ذلك فقال: «ترك وخزر».

(3) الطبري: 1/ 2668 ـ 2669.

(4) المصدر نفسه: 1/ 2892.

(5) البلاذري، المصدر نفسه.

(6) ذكرت جرجان في روايتين متوازيتين، الطبري: 1/ 2669 و 2890، ورواية ثالثة مصحفة (الطبري: 1/ 2891).

وسلمان الفارسي، بين المجموعة الأخيرة هذه، وكانا كما هو معلوم من مشاهير صحابة النبي ﷺ، فقد تخلى المسلمون عن جسد عبد الرحمن، حيث أخذه الخزر ووضعوه في سفط، وقد احتفظوا به، على أن بإمكانهم الاستسقاء به أيام الجفاف والاستنصار به إذا ما قاتلوا عدواً لهم[1].

وأنهت العملية ضد العرب في بلنجر بشكل عملي المرحلة الأولى من العلاقات العربية الخزرية، كل هذا على الرغم من أنه جاء ذكر نشاط الوحدات العربية قرب الباب بعد هذه الحادثة بوقت قصير[2]، وقد حولت الاضطرابات، التي تورطت بها الخلافة إثر مقتل عثمان، اهتمام العرب وتفكيرهم بعيداً عن الحدود، وعندما ابتعد العرب عن الخزر عاش هؤلاء بسلام لمدة طويلة، ولا شك أنه كان بإمكانهم الاستفادة مما حصل، لكن من المفيد أن نذكر بالنسبة للمستقبل، أنه في حوالي هذه الآونة جرى نقل عاصمة الخزر إلى موقع أقل خطراً قام على ضفاف نهر الفولغا[3].

(1) الطبري: 1/ 2669، 2890، وهذا مشار إليه من قبل البلاذري (المصدر نفسه) أيضاً حيث أورد بيتين من الشعر ربطا قبر عبد الرحمن (عند البلاذري سلمان) ابن ربيعة ببلنجر، وقبر قتيبة بن مسلم الواسع الشهرة في سجستان (بالفعل في فرغانة، انظر الفتح العربي لجب: 56) والشعر لشاعر من ربيعة من قبيلة البطلين نفسها (بالنسبة للبلاذري كان سلمان بن ربيعة) القائد المسلم الذي قتل في بلنجر، وهو لا يعرف شيئاً عن عبد الرحمن بن ربيعة، انظر أيضاً ابن الفقيه: 287.

(2) الطبري: 1/ 2894.

(3) انظر المصدر نفسه، الحاشية 43.

خراسان
البحر الأسود